الفصل الرابع

١- دعـــاء الموحديـــن

٢- ســـــــبحان الله

٣- الحقــوق الخمســـــة

٤- أبواب الجنـــة مفتحـــة

١- دعاء الموحدين

كل داعٍ يحب أن يستجيب الله ﷻ لدعائه، لذلك فهو يتوسل إلى الله ﷻ أن يقبل الدعاء، وفي هذا المقام أثنت القرآن الكريم حرص إبراهيم عليه السلام على قبول الله ﷻ لدعائه في قوله ﷻ: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾[1].

الدعاء هو العبادة:

والدعاء من العبادات، بل هو العبادة الحقيقية ذاتها، لدلالته على إقبال العبد على الله ﷻ والإعراض عما سواه، فعَنِ النُّعْمَانِ بن بَشِيرٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»، وَقَرَأَ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[2]. [الترمذي، الحديث ٢٨٩٥، وقال حَسَنٌ صَحِيحٌ]

لذلك فإن مقتضى توحيد الله ﷻ أن لا نقصد غيره بالدعاء:

فهو وحده الخالق؛ قال ﷻ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ..﴾[3].

وما سواه ومَن عداه ﷻ لا يخلقون، قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ..﴾[4]، إنهم عبيد لا يقدرون على شيء، والعبد المخلوق لا يُلجأ إليه، قال ﷻ: ﴿إِنَّ

١- الآية ٤٠ من سورة إبراهيم

٢- الآية ٦٠ من سورة غافر.

٣- من الآية ٤٠ من سورة فاطر

٤- من الآية ٧٣ من سورة الحج

الذين تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]

لذلك يفهم أن توجيه القصد في الدعاء هو من أمور العقيدة والإيمان، فمن توجَّه بدعائه إلى الله ﷻ وحده كان مُوحِّدًا، ومَن توجه إلى غيره كان مُشركًا

التَّقَرُّب يُرَجِّحُ الإجابة

إن الله ﷻ قريب من عباده وهو ﷻ يبادر بإجابة دعواتهم، قال ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[2]، والعبد الذي يدعو يمكنه أن يتقرَّب إلى الله ﷻ بوسيلة من الوسائل تُزيد من رجاء القبول والاستجابة؛ فالوسيلة هي المنزلة والدرجة والقُربة، والتوسل إليه ﷻ هو التقرب إليه بعمل[3]

فالتوسل بالإيمان مشروع، وقد مدح الله ﷻ أولئك الذين قدَّموا الإقرار بالإيمان عندما أرادوا الدعاء بالمغفرة والوقاية من النار، إنهم توسلوا بأفضل صالح الأعمال، وهو الإيمان، قال ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[4]

وتوسل صحابي بالنبي ﷺ استشفاعًا، فعَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ أَنَّ رَجُلاً ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي، قَالَ "إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ، وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ" قَالَ: فَادْعُهُ، قَالَ: فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ

١- الآية ١٩٤ من سورة الأعراف

٢- من الآية ١٨٦ من سورة البقرة

٣- في لسان العرب الواسل الراغب إلى الله، ووسَّل فلانٌ إلى الله وسيلةً إذا عمل عملاً تقرَّب به إليه.

٤- الآية ١٦ من سورة آل عمران

وُضُوءَهُ وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى لِيَ، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ"

[الترمذي، الحديث ٣٥٠٢، وقال حسن صحيح غريب[1]]

وتحاب دعوة المتوسل بعمله الصالح، فأصحاب الغار الذين أطبقت عليهم الصخرة توسلوا إلى الله ﷻ بأعمالهم الصالحة، توسل أحدهم بعفته، والثاني ببره لوالديه، والثالث بتنمية أجر أجيره وإعطائه له بعد سنين[2]، فاستجاب الله ﷻ لهم وفرّج عنهم

وطلب الدعاء من الصالحين جائز، وقد فعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ذلك، فعَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ[3] سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ[4]؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ[5]، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ" فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ.. [مسلم، من الحديث ٤٦١٣]

١- عندما يقول الترمذي عن الحديث: (حسن صحيح غريب)، فهو يعني أنه حسن بالنظر إلى إسناده، صحيح بالنظر إلى حديث آخر، لكنه غريب من الوجه الذي ذكره

٢- للتفصيل، صحيح البخاري، الحديث ٢٠٦٣، وصحيح مسلم، الحديث ٤٩٢٦

٣- الأمداد: جماعة العراة الذين يمدون المسلمين في الغزو

٤- مراد، وقرن قبيلتان

٥- لأبرّه: استجاب له، وجعله بارًا في قسمه

تطلب الإجابة في الأحيان الفاضلة:

هناك أوقات وأحيان فاضلة، إذا تحرَّى المرء الدعاء فيها كان لله ﷻ متوسلاً متقربًا، وصار دعاؤه أقرب للإجابة

ساعة في يوم الجمعة، إن وافقاها أُعطِيَا، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ "فِيهِ سَاعَةٌ، لا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا، إِلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ" وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا [البخاري، الحديث ٨٨٣]

وساعة كل ليلة، للدنيا والآخرة، فعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ. سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ "إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً، لا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ" [مسلم، الحديث ١٢٥٩]

وقت السَّحَر للاستغفار، ويتنزل الله ﷻ دعاء الداعي آخر الليل ووقت السحر، خاصة الاستغفار، فلتوسل إلى الله ﷻ بتحري هذا الوقت للدعاء والاستغفار؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ. "يَنْزِلُ رَبُّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ. مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ" [مسلم، الحديث ١٢٦١] وقال ﷻ. ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1].

نتوسل إلى الله بأحوال:

هناك أحوال إذا كان عليها المرء ودعا، لا تُرَدُّ دعوته، بعض هذه الأحوال يوضع المرء فيها، كأن يكون مظلومًا أو نزلت به مصيبة، وبعضها يستطيع المرء

١- الآية ١٨ من سورة الذاريات

أن يدخل فيها إن أراد توسلاً وقُربة، فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ. الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ الْعَادِلُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» [الترمذي، ٣٥٢٢، وقال حسن].

وقالت أُمُّ سَلَمَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ. «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[1] اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلا أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا..» [مسلم، من الحديث ١٥٢٦]

توصَّل للإجابة بالدعاء لغيرك:

ومن الوسائل الكريمة التي يتوسل بها العبد فيتأهل دعاؤه للإجابة: أن يدعو لغيره، فعن أبي الدرداء ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ دَعَا لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ» [مسلم، الحديث ٤٩١٣]

التوسل المرفوض:

إن صحة العقيدة وسلامة الإيمان تقتضي إفراد الله ﷻ بالتوجه والقصد عند الدعاء، فهذا أمر أساسي لا خلاف فيه؛ لأنه يتعلق بالعقيدة، أما اقتران الدعاء بالتوسل مع بقاء التوجه خالصًا لله ﷻ فهو أمر فرعي في كيفية الدعاء، يمكن أن يكون فيه خلاف فقهي، فعَنْ أَنَسٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا ﷺ فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُسْقَوْنَ [البخاري، الحديث ٣٤٣٤]، أما التوسل بمعنى التوجه إلى مخلوق دون الله ﷻ، فهو توسل مرفوض.

١- من الآية ١٥٦ من سورة البقرة.

لذلك قيل: [والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعي في كيفية الدعاء، وليس من مسائل العقيدة][1]

وبعد العلم عمل:

من أيسر العمل أن تدعو لغيرنا بالخير، يدعو الأخ لأخيه، والأخت لأختها بظهر الغيب، يدعو المستفيد لمن أفاده دون أن يطلب منه ويغير أن يخبره، وعمل ثانٍ أن نحرص على أن ندعو لأنفسنا وقت السَّحَر، وعمل ثالث: أن ننقل ما تعلمناه في مقامنا هذا ومقالتنا هذه إلى مَن نخالط ونعايش، فربما عاد هذا النفع على الناقل بدعاء أخوي بظهر الغيب

*****

١- حسن الدعاء، مجموعة الرسائل، ص ٢٧٠ ط دار الشهاب

٢- سبحان الله

تعرفنا على السمات العامة لعقيدة الإسلام[١]، وبمداومة التهليل تعمَّقت عقيدة التوحيد في وجداننا[٢]، وبالحفاظ على يقظة الإيمان من خلال الموائد السبعة لإيقاظ الإيمان[٣] تعلقنا بربنا ﷻ، فذكرناه بأسمائه الحسنى[٤]، والآن نستكمل دلك بتنزيه الله ﷻ عن كل صفة لا تليق به، وهذا هو التسبيح

التسبيح حق المعبود:

فتنزيه المولى -تبارك وتقدس- حقٌّ له على خلقه، وشهد ربنا -وكفى به شهيدًا- أن عُلوي الكون وسُفْلِيَّه وكل ما فيه يقر بجلال الله وتفرده بالعز والملك والبقاء دون سواه، فتبارك الذي ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ .﴾[٥]، وقال ﷻ: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٦].

التسبيح تنزيه:

إن معرفة الله ﷻ وتوحيده وتنزيهه هي أسمى عقائد الإسلام، ومقتضى التنزيه أن نستحضر ونحن نُسَبِّحُ أمرًا:

نؤمن بكل وصف لله ﷻ ثبت بصحيح الوحي[٧]، مقتدين برسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ، قال ﷻ: ﴿..والرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنا .﴾[٨].

١- يراجع الفصل الرابع من الباب الأول من هذا الكتاب

٢- يراجع الموضوع الثاني من الفصل الأول من الباب الثاني

٣- يراجع الموضوع الثاني من الفصل الثاني من الباب الثاني

٤- انظر الفصل الثالث من الباب الثالث

٥- من الآية ٤٤ من سورة الإسراء

٦- الآية ٨٣ من سورة يس

٧- الوحي هو القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ.

٨- من الآية ٧ من سورة آل عمران

ولا ننفي أية صفة منها[1]، حتى لا نكون مِمَن قال فيهم ﷻ. ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2]

لكنا لا نعتبر صفاته ﷻ كصفات البشر[3]، وإن استخدمت الحروف والكلمات التي تُستخدم لتعريف صفات البشر للدلالة عليها، قال ﷻ: ﴿..لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[4]

ولا نقطع بكُنْه وحقيقة أية صفة؛ لأننا نؤمن أن عقل المخلوق لا يحيط علمًا بكثير مِنَ الأمور، ومِن الأولى أنه لا يستطيع الإحاطة علمًا بطبيعة الخالق ﷻ، قال ﷻ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[5]

المسبحون أهل للاستخلاف:

وكان مِن فهم الملائكة الأطهار أن المسبِّحين هم أهل الاستخلاف، فعندما أُخبروا باستخلاف الله ﷻ للإنسان في الأرض تساءلوا: ﴿..أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ..﴾[6]، فمَن أراد أن ينهض بمهمة الخلافة[7] فليكُن من المسبحين.

المسبِّحون يُفَرِّجُ المولَى كروبهم:

وفي قصة النبي يونس عليه السلام إشارة إلى دور التسبيح في إزالة هم المؤمن وهمومه، قال ﷻ: ﴿..فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ

١- هذا نحو مما يقال عنه (التعطيل)

٢- من الآية ٨٥ من سورة البقرة

٣- وهذا نحو مما يقال عنه (التشبيه)

٤- من الآية ١١ من سورة الشورى

٥- الآية ١١٠ من سورة طه

٦- من الآية ٣٠ من سورة البقرة

٧- للتفصيل يراجع موضوع (خليفة مواصفات)، في الجزء الثالث من هذه السلسلة

مِنَ الظَّالِمِينَ . فَاسْتَجَبنا لَهُ ونَجَّيناهُ مِنَ الغَمِّ..﴾[1]، وقال ﷻ ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[2] فَمَن انتغى النجاة مِنَ الغَمِّ فليلزم التسبيح.

التسبيح يشرح الصدور:

أرشد الله ﷻ نبيه ﷺ إلى علاج يُسرلُ السكينة عليه ويشرح صدره، فقال ﷻ: ﴿..ولَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾[3]، فَمَن وجد ضيقًا وأراد له فرجًا فليُكثِر مِنَ التسبيح.

نشكر النعمة بالتَّسبيح:

ومما يجدر الانتباه أن التسبيح لا يجلب نِعَم الله ﷻ التي ذكرناها فقط، لكنه أيضًا طريقة من طرق شكر النعمة، قال ﷻ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ والْفَتْحُ . ورَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ واسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[4]

التسبيح كفارة لِمَا في المجالس:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ[5]، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ" [الترمذي، الحديث ٣٣٥٥، وقال: حسن صحيح غريب]

بُشْرَى للمُسَبِّحين:

وبَشَّرَ رسول الله ﷺ المسبحين بزيادة كبيرة في ميزان الحسنات، فقَالَ ﷺ.

١- من الآيتين ٨٧، ٨٨ من سورة الأنبياء.

٢- الآيتان ١٤٣، ١٤٤ من سورة الصافات

٣- من الآيتين ٩٧، ٩٨ من سورة الحجر

٤- سورة النصر

٥- اللغط: ارتفاع الأصوات واختلاطها مما لا يفهم

«كَلِمَتَانِ حَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» [البخاري، الحديث ٥٩٢٧]

تسبيحك لا يحصيه العدد:

ولدينا فرصة عظيمة، نستطيع من خلالها أن نُسَبِّحَ الله ﷻ تسبيحًا يليق به ﷻ كمًّا وكيفًا، فقد قَالَ النبي ﷺ للسيدة جويرية ست الحارث « أَلا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ[1] كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ » [الترمذي، حديث ٣٤٧٨، وقال حسن صحيح]

التطبيق اليومي:

أخي المؤمن، أختي المؤمنة، لقد عَهِدَ الله تعالى إلينا أن نُسَبِّحَه كثيرًا. قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، وآناء[2] الليل وأطراف النهار، وبالعشي[3] والإبكار، وبالغدو والآصال[4]، وإدبار النجوم[5]، وأدبار السجود[6]، وأمر ﷻ أن نسبحه حين نقوم، فلنبدأ في تحلية أوقاتنا هذه بالتسبيح، بدأ بوقت منها، ونزيد كل أسبوع وقتًا آخر حتى نصير من المسبحين

١- المداد ما يمد به، كالحبر، والمراد التكثير؛ وأن تسبيحه ﷻ لا ينتهي؛ لأن كلماته ﷻ لا تعد

٢- آناء ساعات، أي ساعة بعد ساعة وحينا بعد حين

٣- العشي النصف الآخر من الليل

٤- الغدو ساعة تغدو إلى معاشك، وعند الأصيل بعد العصر

٥- إدبار ذهاب

٦- أدبار السجود بعد الصلوات

٣- الحقوق الخمسة

إذا كنت ممن أدى الواجبات العملية التي تعاهدنا عليها في مقالاتنا لتعارفوا، وانتقاء واصطفاء، ثم تسمك صدقة، فقد فتحت الآن معاليق نفس فرد أو أكثر من الدوائر المحيطة بك وهديت إلى قلوبهم، وهذه فرصة لكي نستثمر هذه العلاقة الوليدة في تكوين ثروة عظيمة من الثواب والأجر تنفعنا يوم القيامة، وقد يسَّر الله ﷻ لنا ذلك بأن دلنا على واجبات علينا هي حقوق لإخواننا في الإسلام؛ إن أديناها فربنا يقلوب إخواننا، وأعظم من ذلك ثواب الله ﷻ.

حقوق المسلم عليك خمسة:

يقول أبو هُرَيْرَةَ ﷺ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ. رَدُّ السَّلامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ" [البخاري، الحديث ١١٦٤]

نصنع لرد السلام نيَّة:

إن إلقاء السلام وإقراءه والرد عليه قد يصير عادة بين الناس، وقد يصعب البعض من باب الذوق والأدب، وفي هذا خير كثير، إلا أن المسلم يُحَوِّلُ دائمًا العادات إلى عبادات، بأن يصنع لها نية، وبأن يؤديها بالطريقة التي جاء بها رسول الله ﷺ

فإذا كنت ممن تعوَّد إلقاء التحية ورد السلام فاستثمر هذه العادات بأن تصنع لها نية، قال عُمَرُ بن الْخَطَّاب ﷺ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ" [البخاري، الحديث رقم ١]

ولنتفقد العائب:

ومن حق المسلم أن يعُوده إخوانه إذا مَرِض، وقد تبين لنا أن في عيادة المريض فائدة للمريض وأخرى للصحيح، وخائرة للزائر، ومحاة له من لوم يكون في يوم الحساب[1]

وهذه الفرص تفوت على كثير منا؛ لأنهم لا يتفقدون مَن غاب، فالسؤال عن الغائب يفتح لك ثواب عيادة المريض، ومن نِعَم الله ﷻ علينا في عصرنا هذا أن تَوَفَّر لنا من وسائل الاتصال ما يعيننا على السؤال عن الغائبين بسهولة ويُسر، وتعالوا نتصور شعور الغائب حين يتصل به قائلين فقط: نريد أن نطمئن عليك، إن اتصالاً كهذا كفيل بأن يرفع المكانة التي هي لك في قلب ونفس مَن تسأل عنه، إنها خطوة إن لم تُتِحْ لك عيادة مريض فإنها بقلة أعمق نحو تحقيق معاني الأخوة الإسلامية من التحية والسلام مع من تعرفت عليه واصطفيته[2].

نقوم بالواجب ونعود بقيراطين.

ومن أفضل أسباب توثيق الصلات: الوفاء بالحقوق وأداء الواجبات، ومن أعمق هذه الأمور أثرًا مساندة أصحابنا في الأحزان، وإذا كان من حق الصاحب والأخ أن نتبع جنازته إذا مات، فإن من واجبنا تعزيته ومساندته إذا مات له أحد، فإذا قمنا بذلك فمنا بالواجب وأدينا الحق، وفوق ذلك نعود بالأجر، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا[3]

١- للتفصيل. راجع موضوع (طب وطاب عمشاك)، الفصل الثالث من الباب الثاني من الجزء الرابع من هذه السلسلة

٢- تذكر (لتعارفوا) أسماء واصطفاء، سمك صدقة) في الفصول السابقة من هذا الباب

٣- الاحتساب رجاء الثواب والأجر من الله ﷻ

وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيَفْرُغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ[1]، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ" [البخاري، الحديث ٤٥]

ولنقل في تعزيتنا ما قاله الرسول ﷺ، فعَنْ أُسَامَةَ ﷺ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَسُولُ إِحْدَى بَنَاتِهِ -وَعِنْدَهُ سَعْدٌ وَأُبَيٌّ بْنُ كَعْبٍ وَمُعَاذٌ- أَنَّ ابْنًا لِي يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَعَنَّ إِلَيْهَا: "لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلِلَّهِ مَا أَعْطَى، كُلٌّ بِأَجَلٍ، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ" [البخاري، الحديث ٦١١٢]

يرحمك الله ويهدينا:

وإذا عطس المسلم فحَمِد الله ﷻ وجب علينا أن نُشَمِّتَه، وتشميت العاطس أن ندعو له بقول. يرحمك الله، فإن رد قائلاً: يهديكم الله ويصلح بالكم، اشتركنا في رحمة الله ﷻ وهدايته، يقول ﷺ: "إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ" [البخاري، الحديث ٥٧٥٦]

أجب دعوته إذا دعاك:

وخامس الحقوق إجابة الدعوة، وهذا الحق يستحق أن نبسطه تفصيلاً في مقام لاحق بإذن الله تعالى.

*****

١- القيراط المراد به القدر الكبير من الأجر والثواب، وإن كان أصل القيراط الجزء من الدينار

٤- أبواب الجنَّة مُفَتَّحَة

الجنة لها ثمانية أبواب، تُفتَح في الآخرة لتستقبل الجنة أهلها، ومن أهل الجنة مَن له أن يدخلها من أي أبوابها شاء، وبعض هذه الأبواب لا يدخل منها إلا أصحاب طاعات بعينها.

فالإيمان الحق يفتح كل الأبواب، حيث قال ﷺ: «مَنْ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ، وَابْنُ أَمَتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ» [مسلم، الحديث ٤١]

لأهل كل طاعة باب.

جعل الله ﷻ لأهل كل طاعة من الطاعات الأساسية بابًا يدخلون منه إلى الجنة، يقول ﷺ «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ[1] فِي سَبِيلِ اللهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ. يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» [البخاري، الحديث ١٧٦٤]

١- أنفق زوجين: أخرج شيئين من أي صنف من أصناف المال

إسباغ الوضوء يفتح كل الأبواب.

يقول ﷺ: «. مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ -أَوْ فَيُسْبِغُ[1]- الْوَضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، إِلا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ» [مسلم، من الحديث ٣٤٥]. وقال ﷺ «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ، فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ» [الترمذي، الحديث ٥]

افعلي أربعة تُفْتَح لك الثمانية.

يقول ﷺ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ» [أحمد، الحديث ١٥٧٣]

محمد ﷺ أول مَن يفتح للجنة بابًا:

يقول ﷺ. «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ[2] مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ. بِكَ أُمِرْتُ، لا أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ» [مسلم، الحديث ٢٩٢]

ويقول ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَأْخُذُ بِحَلْقَةِ بَابِ الْجَنَّةِ فَأُقَعْقِعُهَا[3]» [الدارمي، الحديث ٥]

أبواب الجنة واسعة:

يقول ﷺ: «.. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى» [البخاري، من الحديث ٤٣٤٣]

١- يُبلغ، أو يُسبغ يُتم ويكمل ويُحسن

٢- الخازن: حارس الجنة من الملائكة

٣- القعقعة الحركة المصحوبة بصوت

أبواب الجنة لا تُغْلَق.

يقول ﷻ ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ۝ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾[1]، فإذا دخل المؤمنون الجنة لم تُغلَق أبوابها عليهم، بل تبقى مُفتَّحَة كما هي، يجيئون ويروحون فيها، ويتبوءون منها حيث شاءوا، كما تدخل الملائكة عليهم في كل وقت بالتُّحَف والألطاف من ربهم وقمثهم، يقول ﷻ ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[2]

وهم لا يحتاجون إلى غلقها، لأن الجنة دار أمن، لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب، كما كانوا يحتاجون إلى ذلك في الدنيا.

*****

١- الآيتان ٤٩، ٥٠ من سورة ص

٢- من الآية ٢٣، والآية ٢٤ من سورة الرعد